

الجامعة الخفية: قراءة في مؤشرات الفساد العالمي للتعليم

The hidden university: a reading of the indicators of education global corruption

شوتري أمال*¹

¹جامعة برج بوعرييج، مخبر دراسات اقتصادية حول المناطق الصناعية في ظل الدور الجديد للجامعة ، الجزائر،

amel.choutri@univ-bba.dz

تاريخ الاستلام: 2022/12/15 تاريخ القبول: 2023/06/01 تاريخ النشر: 2023/06/10

ملخص:

يخترق الفساد الأماكن الأكثر تأثيراً وحساسية في العالم (الجامعة) ليتحول إلى ظاهرة تستوجب الدراسة والتحليل، وتعد الجامعة الخفية نموذجاً واضحاً لهذه الظاهرة، كما يؤكد تقرير الفساد العالمي للتعليم (الملخص التنفيذي) من خلال مؤشرات عديدة. وعليه؛ تهدف هذه الدراسة من خلال منهج وصفي تحليلي إلى تقديم قراءة في مؤشرات الفساد في التعليم العالي بالتركيز على تقرير الفساد العالمي للتعليم (الملخص التنفيذي) الذي قدمته منظمة الشفافية العالمية مؤخراً لتأكيد طرح الجامعة الخفية، من خلال ما تضمنه التقرير من مؤشرات وقراءات مرتبطة بالفساد في التعليم بشكل عام والجامعة بشكل خاص.

الكلمات المفتاحية: الجامعة الخفية، التعليم، مؤشرات الفساد، الجامعة.

ترميز JEL : I23

Abstract:

Corruption penetrates the most influential and sensitive places in the world (the university) to turn into a phenomenon that requires study and analysis. The hidden university is a clear example of this phenomenon, as confirmed by the Global Corruption Report on Education (Executive Summary) through many indicators. Accordingly; This study aims, through a descriptive and analytical approach, to provide a reading of the indicators of corruption in higher education, focusing on the Global Corruption Report in Education (Executive Summary) that Transparency International recently presented to confirm the idea of the hidden university through the indicators and readings related to corruption in education in general and the in university in particular.

Keywords: The hidden university, education, corruption indicators, the university.

JEL Classification Codes: I23

1. مقدمة:

يدعو (الهدف 4) من أهداف التنمية المستدامة السبعة عشرة إلى ضمان التعليم الجيد المنصف والشامل للجميع وتعزيز فرص التعلم مدى الحياة للجميع، يقترن بسبع غايات وثلاث وسائل للتنفيذ. وقد أتى تحديد هذا الهدف نتيجة لعملية تشاورية مكثفة رسمية أجرتها الدول الأعضاء في الأمم المتحدة مع الكثير من مؤسسات المجتمع المدني والمعلمين والنقابات والوكالات الثنائية والمنظمات الإقليمية والمنظمات الدولية والقطاع الخاص ومعاهد البحوث ومؤسساته، خلال مؤتمرها المتعلق بالتنمية المستدامة أو ما يسمى بخطة التنمية المستدامة لعام 2030، وذلك من أجل ترجمة الالتزامات العالمية في مجال التعليم إلى سياسة وممارسة على المستوى القطري والمستوى الإقليمي والمستوى العالمي.

يدرك المتأمل لأهداف التنمية المستدامة أن التعليم في الدول النامية بشكل عام والتعليم العالي بشكل خاص يتلاقح أو ينسجم مع أهداف التنمية المستدامة وتحديداً الهدف الرابع المرتبط بالتعليم، كون المجتمع المتعلم هو الأقدر على النمو والتطور ومجارات التغيير الذي يحدث في عالم يتنافس فيه الجميع على البقاء، بقاء لن يجسده إلا امتلاك المعارف والمهارات والابتكارات، والمحافظة على مصير الإنسانية المشترك. فأهداف التنمية المستدامة من حيث الطروحات النظرية المبدئية سبيل تباركه الضمان الحية وتثمنه القيم الإنسانية المبنية على فكرة الإنصاف والعدل واحترام الآخر وتعزيز التعاون ونبذ العنف بكل أشكاله، وفي مقدمته السطو على مقدرات الشعوب المستضعفة تحت مسميات عديدة ومظلات تتلون بتلون أنانية الأقوياء وفوضى الأخلاق.

وبالمقابل، التعليم في الدول النامية أيضاً يتناطح أو يتعارض مع أهداف التنمية المستدامة من حيث اشتراطات التطبيق واختلافات الرؤى وازدواجية التعامل وشح الموارد وضبابية التصورات وإهمال عوامل الزمن وظروف الأمكنة، ففي حين يحظى أطفال الغرب برفاهية تعليمية غير مسبوقه، تشهد إفريقيا ارتفاعاً في عدد الأطفال غير الملتحقين بالمدارس الذين يُمثلون حالياً حوالي ثلث الإجمالي العالمي. وفي أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى تحديداً، يترك ما يصل إلى 40% من الأطفال المدرسة الابتدائية دون تعلم المهارات الأساسية. تطرح التكلفة الباهظة لنظم التعليم الحالية في بعض البلدان الإفريقية إشكالية من سيتحملها؟ خاصة والدراسات تبين أن كلفة إعداد خريج جامعي تفوق 80 إلى 400 مرة كلفة إيصال تلميذ إلى نهاية التعليم الابتدائي، وهي تكلفة باهظة ستكون في الغالب على حساب التعليم الأساسي، فضلاً عن مآسي تعليمية أخرى أبرزها قضايا الفساد في قطاع التعليم التي أصبحت تعرض نفسها بقوة كقضايا خطيرة تمس بأمن البشرية جمعاء، لاسيما بعد أن أصبحت تنتقل من زوايا التخفي إلى زوايا الظهور في مشهد رهيب يستدعي استنهاض كل الجهود للوقوف في وجه فساد يطال أنقى المهن (التعليم).

للأسف تبقى طروحات التلاقح ضئيلة ومقيدة وطروحات التناطح وفيرة تنذر بمستقبل مخيف، فكوفيد 19 نموذج حي في الذاكرة وحروب الغرب التي لا تنتهي تطرح تساؤلات كبرى عن مستقبل بشرية متفوقها تعليمياً قد

يصنعون نهايتها قريباً وضعفاؤها يُنتظر منهم أن يغيروا قواعد اللعبة بعيداً عن مدرستهم النظامية التي وعلى الرغم من الجهود المبذولة مازالت تتغنى بطروحات الآخر القوي وأوهامه ووعوده.

إشكالية البحث:

تزام اليوم الجامعة الرسمية في ظل أهداف التنمية المستدامة جامعة خفية موازية تديرها مافيا التجارة ومنطق الربح السريع والمصالح الشخصية؛ لاسيما بعد سيطرة ثقافة السوق على كل مفاصل حياة البشر. فقد نفهم تغلغل الفساد في كل المجتمعات المتقدم منها والمتخلف وعلى كل المستويات، لكن أن يخترق هذا الفساد الأماكن الأكثر قدسية كالجامعة فهذا يعني انهيار كلي لمنظومة القيم التي تحكم هذا العالم وما سينجر على ذلك من دمار. صحيح اخترق الفساد الجامعة منذ زمن لأنه كان موجوداً دائماً، لكن أن يستفحل ويصبح ظاهرة بدأت تستشري لتمس حتى أعرق الجامعات كما تؤكد الدلائل والمؤشرات والدراسات والتقارير فتلك هي الكارثة، وهو ما يجعل الوقوف عند هذا الموضوع بالدراسة والتحليل حتمية تبرز خطورة الظاهرة وتحاول تقديم بعض الحلول؛ وعليه ستقوم هذه الورقة بمناقشة الجوانب المرتبطة بالتساؤل المركزي المتمثل في : هل تعكس مؤشرات الفساد العالمي كما جاء في الملخص التنفيذي لتقرير الفساد العالمي للتعليم فكرة الجامعة الخفية؟

هدف الورقة: تهدف هذه الورقة إلى تقديم قراءة في مؤشرات الفساد في التعليم العالي بالتركيز على تقرير الفساد العالمي للتعليم (الملخص التنفيذي) الذي قدمته منظمة الشفافية العالمية مؤخراً لتأكيد طرح الجامعة الخفية من خلال ما تضمنه التقرير من مؤشرات وقراءات مرتبطة بالفساد في التعليم بشكل عام والجامعة بشكل خاص؛ حيث جاء في خمس محاور أساسية اثنان منها مرتبطة بشكل مباشر بالتعليم العالي والجامعة مؤكدة الطرح أعلاه: المحور الأول تناول موضوع تأطير الفساد في التعليم - توجهات عالمية؛ والمحور الثاني تناول موضوع الفساد في التعليم المدرسي - فهم التحدي ووضعه في حجمه الصحيح؛ أما المحور الثالث فتطرق لموضوع الشفافية والنزاهة في التعليم العالي؛ يليه المحور الرابع الذي استعرض موضع التصدي للفساد في التعليم - بعض المناهج المبتكرة؛ وأخير المحور الخامس الذي ناقش مسألة : دور التعليم والبحث العلمي في تعزيز النزاهة الشخصية والمهنية.

محاور الدراسة: سنحاول مناقشة الموضوع من خلال نقطتين أساسيتين الأولى ترتبط بإشكاليات الجامعة الخفية التي تطرحها، والنقطة الثانية ترتبط ببعض مؤشرات الفساد في الجامعة حسب تقرير الفساد العالمي الخاص بالتعليم.

2. إشكاليات الجامعة الخفية

تطرح الجامعة الخفية University The Hidden أو the Invisible University إشكالات عديدة مرتبطة بالمصطلح وبأدوات القياس. نذكرها كالاتي:

1.2. إشكالية المصطلح: لا نقصد بالجامعة الخفية فكرة الكلية الخفية Invisible College التي ظهرت في شكل شبكة من الفلكيين والأساتذة وعلماء الرياضيات والفلاسفة الطبيعيين الأوروبيين منذ حقبة القرن 16 والذين كانوا يمررون المعلومات والأفكار لبعضهم البعض من خلال هذه الكلية التي لا تعير أي اعتبار للشهادات والخبرات المدرسية أو الفنية أو السياسية وغالباً ما يسمى أعضاء أي كلية مخفية باحث مستقل. وهي تشير الآن

إلى الانتقال الحر للفكر والخبرة التقنية، وعادة ما تنفذ من دون إنشاء مرافق معينة أو مؤسساتية. المقصود بالجامعة الخفية هو تلك الجامعة الموازية للجامعة الرسمية تديرها مافيا التجارة ومنطق التمويع والربح السريع والمصالح الشخصية؛ لاسيما بعد سيطرة ثقافة السوق على كل مفاصل حياة البشر. الجامعة الخفية التي ارتبطت بقضايا الفساد والاقتصاد الخفي في كل المجتمعات. في الواقع لمن نجد تعريفاً لهذه الجامعة في حدود دراستنا للموضوع وقد يرجع الاسم لاجتهاداتنا الشخصية في الموضوع من منطلق اهتمامنا بقضايا التعليم بشكل عام والتعليم العالي بشكل خاص، لذلك سنحاول تقديم تعريف كاجتهاد منا بناءً على التعاريف المرتبطة بالفساد والاقتصاد الخفي.

تعددت التعاريف التي أعطيت للفساد فهناك تعاريف تربط الفساد عادة بالموظفين في الدولة كتعريف برنامج الأمم المتحدة الإنمائي: "الفساد هو إساءة استعمال السلطة العمومية أو المنصب أو السلطة للمنفعة الخاصة، سواء عن طريق الرشوة، أو الابتزاز، أو استغلال النفوذ، أو المحسوبية، أو الغش، أو تقديم إكراميات للتعجيل بالخدمات، أو عن طريق الاختلاس". وتعريف البنك الدولي الذي يرى في الفساد "بأنه إساءة استعمال الوظيفة العامة للكسب الخاص (worldbank). وتعاريف أخرى لا تربط الفساد فقط بالسلطة العمومية بل وحتى بالقطاع الخاص الذي يمارس هو أيضاً الكثير من آليات الفساد كتعريف منظمة الشفافية الدولية فالفساد حسب هذه المنظمة هو "إساءة استخدام سلطة معهودة بالمرء من أجل تحقيق مكسب خاص." (transparency) وهو التعريف الذي نقصده في ورقتنا هذه والمرتبب بأهداف البحث. أشكال الفساد عديدة كالرشوة، الغش، غسيل الأموال، الابتزاز، العمولة الخفية، استغلال النفوذ، المحاباة، المحسوبية، الرعاية، التعاملات الداخلية، إكراميات لتعجيل الخدمات، الاختلاس، إساءة استخدام الممتلكات العامة وغيرها من الأشكال. وهناك أنواع للفساد: الفساد الصغير الذي يحدث على مستوى أبسط مستويات التعامل بين الموظفين والشركات والموظفين العموميين ويشيع على سبيل المثال في مجال تقديم الخدمات مثل خدمات الرعاية الصحية والتعليم، والفساد الكبير كفساد الشخصيات في أعلى مستويات الهرم الحكومي وفساد الدول.

أما بالنسبة للاقتصاد الخفي فحظي مفهومه باهتمام المختصين لفهم أبعاده، والوقوف على آثاره في سياقها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، إلا أنهم لم يتفقوا على تعريف للاقتصاد الخفي بسبب تعدد أسبابه، وتنوع أنشطته، واتساع نطاقه، واختلاف مظاهره، وتعدد آثاره، حيث اقتصر مفاهيم الدارسين على المفاهيم الاصطلاحية المركزة على بيان أوصاف تلك الأنشطة، والتعبير عن آليات هذه الظاهرة وخصائصها، دون الوصول لتعريف شامل ومحدد وركزت معظم الأبحاث والدارسات في تعريفه على العوامل المشتركة بين مكوناته لتمييزه عن القطاعات الأخرى الأمر الذي أدى إلى انعكاس مسمياته ومفهومه إلى اختلاف بين الباحثين لم يصل إلى تعريف دقيق ومقبول للظاهرة (الحربي، 2021)؛ واستخدم المفهوم في قطاعات عديدة جعلتنا نستخدمه في التعليم العالي أيضاً حيث ركزت العديد من الدراسات في تعريفه وتصنيفه على العوامل المشتركة بين مكوناته والتي يمكن اعتمادها كأداة لتمييزه عن غيره من القطاعات (قطاع عام أو خاص فردي أو مشترك، ريعي أو حقيقي، إنتاجي أو خدمي...) وهذه العوامل يمكن تلخيصها فيما يلي. : الاقتصاد الذي لا يخضع للرقابة الحكومية، تكون عادة قيمته المضافة خارج الحسابات القومية، لا يخضع للتشريعات الصادرة ولذلك يعتمد السرية وعدم التصريح أي

الجامعة الخفية: قراءة في مؤشرات الفساد العالمي للتعليم

بعيدا عن أعين الرقابة، ولا يمسك دفا تر حسابات رسمية. التهرب من كافة الواجبات تجاه الدولة (ضرائب، رسوم، تقديم بيانات) ويستفيد من الخدمات المتوفرة والمحمولة على المجموعة الوطنية². وهناك تعريف آخر للاقتصاد الخفي على أنه مجموعة أو سلسلة من النشاطات اللاشعرية تنشأ على هامش الاقتصاد الرسمي، تمارس من طرف أفراد أو جماعات محترفة في الميدان هدفها الأساسي الربح السهل والسريع.

تمت معالجة بعض جوانب الفساد في التعليم في السنوات الأخيرة من قبل مارتن أندرسون Martin Anderson (1992) ، ميليسا أندرسون Melissa Anderson (1999 ، 2001) ، ماكس إيكشتاين Max Eckstein (2003) ، جاك هلاك Jacques Hallak وموريل بواسون Muriel Poisson (2002 ، 2007) ، ستيفن هاينمان Stephen Heyneman (2004) ، هارولد نوح Harold Noah وماكس إيكشتاين Max Eckstein (2001) ، ليديا سيغال Lydia Segal (2004) ، وجنيفر واشبورن Jennifer Washburn (2005). (Osipian, 2007) لكن موضوع الفساد في التعليم العالي هو موضوع حديث النشأة في مجال أبحاث التعليم. فلا توجد أبحاث علمية قوية على الفساد في التعليم العالي على الرغم من أهمية الموضوع وخطورة المشكلة وانتشار الفساد في التعليم العالي في جميع أنحاء العالم مما جعله مصدر قلق متزايد على الصناعة (الفعالية والكفاءة) فضلاً عن التأثير السلبي لفساد التعليم العالي على التنمية والتماسك الاجتماعي. (Julián & Bonavia, 2022) ويؤثر الفساد في التعليم على القضايا الثلاث الرئيسية في التعليم العالي: الوصول Access والجودة والإنصاف. تُعرّف منظمة الشفافية الدولية كما أسلفنا الفساد على أنه "إساءة استخدام السلطة الموكلة لتحقيق مكاسب خاصة". لكن في التعليم العالي، يشمل الفساد أيضاً وبإسقاط المنطق الذي اعتمد عليه في تعريف الفساد وتعريف الاقتصاد الرسمي، يمكن تعريف الجامعة الخفية على أنها تلك الجامعة التي تنشأ على هامش الجامعة الرسمية لأغراض غير مشروعة وللمصالح الشخصية أو هي استغلال السلطة الأكاديمية والبحثية من أجل المنافع الشخصية سواء في الجامعات الحكومية أو الخاصة. أو هي "الافتقار إلى النزاهة الأكاديمية" وينطبق التعريف الثاني أيضاً على كل من المؤسسات العامة والخاصة، لأن ما يقدمه كلاهما (التعليم) يمكن تفسيره على أنه منفعة عامة. (بوصيدة، 2022)

2.2. إشكالية القياس:

ارتبط ظهور الجامعة الخفية بالفساد الذي طال التعليم العالي كالغش، الرشوة، التلاعب بعلامات الطلبة، تزوير شهادات، وغيرها، ففي تقريرين حديثين صادرين عن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) ومنظمة الشفافية الدولية أكدوا أن الفساد في التعليم العالي أصبح مصدر قلق دولي متزايد للحكومات، للأساتذة والطلاب وأصحاب المصلحة الآخرين. وتحدد منظمة الشفافية الدولية أربعة عوامل تخلق الظروف المواتية لانتشار الفساد، هي : (Shore, 2022)

- تراجع التمويل العام للتعليم العالي وتآكل الرواتب.

- التركيز على توليد الجامعات لمصادر دخل خاصة بها ، غالبًا عن طريق زيادة الرسوم الدراسية ، أو زيادة الضغط على الأكاديميين للفوز بمنح خارجية وتسويق نتائج أبحاثهم ، أو تطوير أعمال مساعدة ربحية.

- تكثيف الضغوط على الأكاديميين لنشر أبحاثهم في المجالات رفيعة المستوى حيث ترفع الجامعات مكانتها الوطنية والدولية وسمعتها من خلال تحسين وضعها في تصنيف الجامعات العالمية.
- منح المؤسسات قدرًا أكبر من الاستقلال الإداري بعد توقع قيام الجامعات بتوليد أموالها الخاصة.
- إضعاف ضوابط الدولة والممارسات التنظيمية الراسخة، ففتحت الباب واسعاً للسياسات النيوليبرالية "كمساحات شاسعة خارجة عن القانون من فرص الاستيلاء والنفوذ.

بدأت الجامعات نفسها في الظهور والتصرف كشركات هادفة للربح، حيث تتخبط الجامعات اليوم في منح براءات الاختراع والترخيص وغيرها من الأنشطة التجارية غير المسبوقة التي غالبًا ما تتعارض مع المهمة التعليمية الأساسية، خلال العقدين الماضيين، غيرت القوى التجارية تقريبًا كل جانب من جوانب الحياة الأكاديمية. فتمويل الشركات للجامعات أخذ في الازدياد وتأتي الأموال مصحوبة بشروط. في مقابل سخاء الشركات، تعمل الجامعات أكثر فأكثر مثل مصانع براءات الاختراع الربحية، ويتصرف الأساتذة مثل رجال الأعمال وتحل السرية محل التدفق الحر للمعرفة الأساسية، وتتحوّل أموال الجامعات من العلوم الإنسانية إلى مختبرات العلوم الأكثر ربحًا من الناحية التجارية، وتقل قيمة مهارة التدريس. لقد أصبحت عواقب المجمع الأكاديمي الصناعي الجديد واسعة النطاق ومقلقة، فعلى سبيل المثال، بعد أن وقعت جامعة كاليفورنيا في بيركلي اتفاقية مع شركة التكنولوجيا الحيوية السويسرية التي تنتج المحاصيل المعدلة وراثيًا، تدفقت أموال الصناعة على مختبرات هؤلاء العلماء المشاركين في تطوير المحاصيل المعدلة وراثيًا والذين انتقدوا التعديل الوراثي "وجدوا أنفسهم متعطشين للأموال".

(opensocietyfoundations)

على الرغم من كثرة مؤشرات التصنيف التي تحظى بها الجامعات من خلال جودة البحث والتدريس، النشر العالمي والتصنيفات الائتمانية، والسمعة الابتكار وإمكانية توظيف الخريجين وغيرها من المؤشرات لكن لم يتم تطوير مؤشر عالمي للفساد الأكاديمي لمعرفة ما هي المؤشرات التي يمكن أن تستخدم لقياس الفساد الجامعي، إذ تبقى مؤشرات الفساد في الجامعة صعبة القياس، وتعتمد الدراسات الآن على ما يتداول في الإعلام أو بعض التقارير الصحفية أو التجارب الخاصة لبعض الطلاب والأساتذة ضحية الفساد، ويعتمد الباحثين على الاستبيانات والمقابلات والملاحظات في تحليل بعض الظواهر ذات العلاقة بالفساد في التعليم العالي. لأن المنافسة على الموارد والشهرة تضع ضغوطًا غير عادية على مؤسسات التعليم العالي خاصة الأضعف منها. يجتاح الفساد أنظمة كاملة من التعليم العالي ويهدد سمعة المنتجات البحثية والخريجين، فوفقًا لمدير المعهد الدولي للتربية التابع لليونسكو، فقد انتشر الاحتيال الأكاديمي على نطاق واسع لدرجة أنه يشكل الآن "تهديدًا خطيرًا" لثقة الجمهور في المؤسسات التعليمية والأداء و "نزاهة وموثوقية شهادات التعليم العالي". (Shore, 2022) ونذكر هنا على سبيل المثال أوقاف هارفارد وبيبل وبرينستون في نهاية السنة المالية 2015 التي بلغت 38 مليار دولار و 26 مليار دولار و 22 مليار دولار على التوالي. وهي تعادل بالمقابل الناتج المحلي الإجمالي لمنغوليا وقبرص وفلسطين (الضفة الغربية وقطاع غزة)، يتقاضى فيها رؤساء الجامعات رواتب متساوية وغالبًا أعلى من الرؤساء التنفيذيين للشركات (Rubin, 2017). ترسل جمهورية الصين الشعبية مئات الآلاف من الطلاب إلى الكليات

الجامعة الخفية: قراءة في مؤشرات الفساد العالمي للتعليم

الأمريكية. يتلاءم العديد من هؤلاء الطلاب ويتلقون تعليمًا من الدرجة الأولى ، لكن العديد منهم يغشون أيضًا في طلباتهم فالفساد الأكاديمي شائع أيضاً إلى حد ما في كلا البلدين. فبمجرد قبولهم في الحرم الجامعي، يتضح أن هؤلاء الطلاب ليسوا كما زعموا. في بعض الحالات لا يمكنهم التحدث باللغة الإنجليزية بشكل كافٍ للتواصل ولا يمكنهم فهم ما يقال في الفصل. هذا يفرض على الجامعة الأمريكية الاختيار بين طرد الطلاب دون المستوى أو تدريسهم: الاختيار الأول يحافظ على جودة التعليم ويحمي سمعة الجامعة خاصة وأن الكثير من الأجانب (أبناء وبنات النخبة السياسية والتجارية) يتدفقون إلى الجامعات الأمريكية لأنها تقدم أفضل وأوسع تعليم. فتدمير هذه السمعة لتحقيق مكاسب قصيرة الأجل سيكون بمثابة سوء إدارة إلى أقصى حد.

لكن السعي الدؤوب لجمع الأموال يقود الجامعات لاختيار الثاني، يبرر البعض هذه الممارسة بأن الرسوم الدراسية التي يدفعها الطلاب دون المستوى المطلوب أو أن حكوماتهم تدعم المساعدات المالية الممنوحة للطلاب الآخرين*. لذلك يجب على الجامعات مراقبة امتحاناتها الخاصة في الخارج. فإذا كان بإمكان عشرات الطلاب الصينيين دفع 50000 دولار سنويًا للجامعة ، فيجب أن تكون هذه الجامعة قادرة على العثور على 5000 دولار لإرسال مراقب إلى مدينة أو مدينتين في ذلك البلد للإشراف على الامتحانات وتصحيحها وإجراء المقابلات الشخصية (Rubin، 2017).

وتجدر الإشارة هنا أنه لا يتعين بالضرورة رشوة أعضاء هيئة التدريس للقيام ببعض الممارسات؛ قد تختلف أسبابهم ومبرراتهم، كإتقال كاهلهم بواجبات أخرى إلى ضيق الوقت للاستمرار، كثرة الطلبة الظروف الاقتصادية والاجتماعية وغيرها. فغالبًا ما لا يجرؤ بعض على تسمية ذلك على أنها "فساد" والتخفيف من هذه "الخطيئة" بالإشارة إليها على أنها تقصير فقط.

3. مؤشرات الفساد في الجامعة حسب تقرير الفساد العالمي الخاص بالتعليم (تقديم بعض الملاحظات).

انصب التركيز في تقرير الفساد العالمي الذي تقدمه منظمة الشفافية الدولية* على قضية التعليم، لأنه تبين كما جاء في التقرير أن دورة التعليم، من الابتدائي إلى العالي، ليست حصينة في أي من مراحلها في مواجهة الفساد. فحسب التقرير التعليم أيضاً عرضة للفساد بشكل خاص. فالكثير من الموارد الموزعة لا تحظى بالرقابة الكافية على امتدادها، من مرحلة خروجها من الحكومة المركزية وحتى بلوغها المدارس، في نيجيريا، سمح هذا الأمر بخسارة 21 مليون دولار أمريكي على الأقل على مدار سنتين، وضعف هذا المبلغ في كينيا على مدار خمس سنوات، أيضاً الذين يوفرون الخدمات التعليمية لديهم صلاحيات قوية تمكنهم إن شاءوا من ابتزاز الخدمات

*لقى تقرير جديد صادر عن جامعة شيكاغو الضوء على المدن والولايات الأمريكية التي تعاني من معظم حالات الفساد في القطاع العام. ويستند التقرير إلى تحليل إحصاءات الفساد العام الصادرة عن وزارة العدل الأمريكية. في جميع الولايات والمناطق القضائية الفيدرالية في الولايات المتحدة، كان هناك 19634 إدانة بالفساد العام على مدى السنوات العشر الماضية. في عام 2018 وحده ، أدين 695 موظفًا حكوميًا وموظفًا اتحاديًا ومتعاقدًا حكوميًا بالفساد العام. وجد البحث أن شيكاغو لا تزال المدينة الأكثر فسادًا في الولايات المتحدة، حيث سجلت مقاطعة إلينوي الشمالية القضائية 1750 إدانة بالفساد العام من 1976 إلى 2018. تلتها لوس أنجلوس بـ 1547 حالة، والمنطقة القضائية الجنوبية في نيويورك بـ 1360. تسلط البيانات الضوء أيضًا على حجم المشكلة في جميع الولايات الخمسين ومقاطعة كولومبيا.

* الشفافية الدولية (Transparency International) ويُرْمز لها اختصاراً (TI) هي منظمة دولية غير حكومية تأسست في عام 1993 بألمانيا كمؤسسة غير ربحية، معنية بالفساد وتشتهر عالمياً بتقريرها السنوي مؤشر الفساد، وهو قائمة مقارنة للدول من حيث انتشار الفساد حول العالم. مقر المنظمة الرئيسي يقع في برلين، ألمانيا.

والمصالح الشخصية، الآباء المدفوعون برغبة طبيعية في توفير أفضل الفرص لأطفالهم، كثيراً ما لا يعلمون بما يسددون من أموال ويشكل رسوماً غير قانونية. على سبيل المثال، الرشاوى المدفوعة للحصول على مكان في مدرسة ابتدائية متميزة في فيتنام إذ تبين من توثيق هذه الرشاوى أنها تُدفع بمعدل أكثر من ضعف نصيب الفرد من إجمالي الدخل القومي في فيتنام.

يضيف التقرير أن تزايد أعداد طلبة التعليم العالي على مستوى العالم أظهر أن التعليم العالي لم يعد يقتصر على النخبة فقط وأن البيئة المتغيرة التي تعمل في سياقها مؤسسات التعليم العالي جلبت معها مخاطر الفساد، في ألمانيا تعد مزاعم الاحتيال بالتعليم العالي على أعلى مستوى، بينما حدث في اليونان وأن تم حبس بعض أساتذة الجامعات بتهمة اختلاس 8 مليون يورو. وهو ما يثبت أن الفساد يتجذر في كل الدول مهما كانت قوتها. سنحاول التركيز على بعض العناصر المهمة التي جاءت في التقرير ولها علاقة بموضوع الجامعة الخفية.

1.3. الشفافية والنزاهة في التعليم العالي:

عند تفحص هذا التقرير يلاحظ أن هناك تحالف قوي بين الكثير من الأطراف على مستوى دولي ومحلي لإيجاد جامعة خفية تمارس أنشطة معينة من أجل تحقيق النفع غير المشروع، لديها مؤسساتها ومواردها البشرية والمادية والمالية لتحقيق هذا النفع، شبكة قوية يصعب القضاء عليها فهي كالسرطان المميت الذي يستشري في الجسم فيقضي عليه، شبكة بعيدة كل البعد عن الشفافية والنزاهة في قطاع من المفروض يتميز بقسوة خاصة، فمجالس العلم تحفها الملائكة لكن شياطين الجنس قاموا بتدنيها. وأعطى التقرير أمثلة كثيرة لتوضيح ذلك حيث جاء في التقرير أن حوالي 43% من مجالس الجامعات في المملكة المتحدة لا تناقش الجهود المطلوبة لمواجهة الاحتيال والفساد، وينفق المسؤولون الفاسدون الملايين في محاولة لتطهير صورهم من خلال تبرعات خيرية تظاهرية لمؤسسات مرموقة وهناك دليل على أن إدارة نظم المعلومات في التعليم تستخدم بهدف إساءة استخدام إدارة التدفقات المالية وبرامج التوظيف. وأن هناك نسبة كبيرة ممن يرون في نظام التعليم أنه فاسد أو عالي الفساد، بلغت في الولايات المتحدة 34% اليونان 45% ، رومانيا 33% ، المملكة المتحدة 18% ، جورجيا 22% ، ألمانيا 19% ، غانا 66% ، المغرب 60% . سجلت رواندا 4% وهي نسبة منخفضة حيث أحرزت رواندا تقدماً مدهشاً على مسار التعليم، يعد إدخال برنامج التعليم المجاني لمدة 9 سنوات لكن كجميع البرامج العامة الطموحة، فالبرنامج يواجه تحديات، ويمكنه أن ينجح إذا تمت الاستفادة من المراقبة المستقلة، والتوصيات البناءة والتقييم النقدي.

الاستقلالية والنزاهة معترف بهما كقيم أساسية للتعليم العالي، ولكنها تواجه دائماً بتحديات نذكر منها كما جاء في التقرير تهديد جديد للحرية الأكاديمية والنزاهة البحثية. فنتيجة لتزايد رعاية الصناعة للبحث الذي تقوم به الجامعات، تزداد المخاوف الواسعة الانتشار حول الطرق التي تستطيع من خلالها هذه الترتيبات إفساد البحث الأكاديمي الجامعي، ويتمثل الخطر في قيام العديد من الأعمال الخاصة بتمويل البحث ليس من أجل تقدم المعرفة، ولكن لإعطاء مصداقية أكاديمية لمنتجات أو عمليات أو أفكار معينة تدعم مصالحهم التجارية. في هذه الحالات، فإن الأهداف التجارية قد تسبب تنازلات في النزاهة البحثية. ممكن لهذا أن يحدث حين يقع الباحثون

الذين لديهم ارتباطات مالية بالشركات الزراعية في حالة تضارب المصالح وفي حالات أخرى، قد يضع الممولون ضغوطاً مباشرة لتوجيه نتائج البحث أو لكبت نتائج قد تكون مؤذية لمصالحهم التجارية. وهذا لا يعني القول بأن تعاون الجامعة الصناعة لا يمكنه أن يقدم منافع متبادلة للشركات والباحثين الأكاديميين الذين يرون أن تعاونهم مع الصناعة يلهمهم النظر في مسائل بحثية جديدة ومتابعة تحقيقات قد لا يتاح لهم بحثها لولا ذلك. وهناك تحديات أخرى تواجه الجامعة كغياب العدالة في بيئة العمل، تركيز السلطة وعدم كفاية الضوابط والموازن في الرقابة، التنافس المفرط وعدم محاذاة التدريس والبحث في العقدين الأخيرين، حيث حظي البحث بأولوية على التدريس في العديد من بيئات العمل الأكاديمي. ولكن، في حالات كثيرة، لا تمتلك الهيئات الأكاديمية مجالاً للقيام بكل من توليد معرفة جديدة وتخصيص وقت للتدريس، فعندما طلب من الهيئات الأكاديمية أن يزيدوا إنتاجهم البحثي دون أي تغيير تحفيزي في أعبائهم التدريسية أو رواتبهم، اعترف البعض أنهم استجابوا للمتطلبات المتضاربة عن طريق إنتاج أبحاث مزيفة أو عدمية القيمة، وأشارت تقارير أخرى إلى أن العديد لجأوا إلى الفساد، مثل طلب رشاي من الطلبة، أو تقديم دروس خصوصية غير ضرورية ولكنها مربحة.

وأوضحت نتائج المسوحات الني أجريت أن أكثر أشكال الفساد انتشاراً حسب الطلبة في جامعاتهم هي: إعطاء علامة إيجابية مقابل النقود أو أشكال أخرى من العائد، إعطاء علامات النجاح على أساس علاقات القرابة أو العائلة أو الصداقة، وشراء الكتب كمتطلب سابق لأخذ الامتحان، ومحاباة أبناء العاملين في الجامعة، وانتهاك القواعد التي تشترط إنهاء الطلبة المتطلبات الضرورية لأخذ الامتحانات، والتلاعب بامتحانات القبول للجامعة، إضافة إلى ملاحظة هذه المشاكل، ذكر العاملون كذلك الترقية غير المستحقة وخرق القوانين والإجراءات الداخلية في الامتحانات، والتعليم والتوظيف. وذكر العاملون والطلبة الواسطة والمحسوبية في المجتمع الأكاديمي، والمخالفات في عملية منح الألقاب الأكاديمية واختيار الهيئة التدريسية. كما اعتقد أيضاً أن للسياسة دوراً تؤديه في عمل الجامعات، مثل تعيين إدارة الجامعة والعاملين على أساس العلاقات السياسية والانتماء الحزبي.

2.3. تقديم بعض الحلول بناءً على تجارب دولية:

قدم التقرير مجموعة من الحلول التي يراها قادرة على التخفيف من حدة الفساد في قطاع التعليم بشكل عام والتعليم العالي بشكل خاص، مثل:

- دور التربية والبحث في تعزيز النزاهة الشخصية والمهنية؛
- اعتماد مقاربة المدرسة بأكملها لتعزيز النزاهة الشخصية والقواعد المهنية ضد الفساد؛
- استعراض مقاربات المجتمع المدني في مكافحة الفساد في التعليم؛
- التوعية حول مكافحة الفساد من خلال تعليم نزاهة الأعمال؛
- تبني اتجاهات جديدة في تعليم القيادة بالقيم؛
- استخدام التعلم غير الرسمي وإشراك الشباب في أنشطة مكافحة الفساد؛
- تعزيز النزاهة الأكاديمية التي تتضمن حسب المركز الدولي للنزاهة الأكاديمية القيم الخمس: الأمانة، الثقة، الاحترام، الإنصاف، والمسؤولية؛
- الشفافية وزيادة جودة التعليم العالي ومجابهة الاحتيال المالي؛

- المسؤولية المشتركة عن الأخلاقيات؛

3. خلاصة:

انطلاقاً من الطرح أعلاه، يمكن أن نسجل بعض النتائج:

- الفساد لا جنس ولا جغرافياً له فلقد أصبح عالمياً لا يستثني فقيراً أو غنياً، متخلفاً أو متقدماً.

- الفساد في التعليم العالي أصبح واقعاً مخيفاً وتزداد خطورته كونه صار ممنهجاً ومقصوداً.

ويبقى تقرير الفساد العالمي: التعليم، محاولة في طريق شاق لكشف مظاهر الفساد في التعليم ومحاولة التصدي لها. لسنا ماركسيين، لكن أظن أن ثورة العمال والموظفين الذين أثقلتهم قضايا الفساد ستكون سيده الموقف مستقبلاً وفي كل مكان من الكرة الأرضية لأن الليبرالية توحشت إلى أبعد الحدود والتفاوت في توزيع الثروة بلغ مدها. الآية الكريمة من سورة البقرة تقول: "ومما رزقناهم ينفقون" ليستمتع الجميع لكن هؤلاء يكسدون الثروات ويعيشون البذخ في أبشع صوره... الإنسان تجبر في عصر العولمة وثقافة السوق وما فساد التعليم إلا حلقة من فساد ظهر في البر والبحر يبقى مرفوضاً قانوناً وأخلاقاً وملعوناً شرعاً.. وَالَّذِينَ يَنْفُسُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (سورة الرعد الآية 24). أخيراً يجب أن نسجل أن الجامعة الخفية تمثل شكلاً أساسياً من الفساد في التعليم العالي، وتعكس مؤشرات الفساد العالمي كما جاء في الملخص التنفيذي لتقرير الفساد العالمي للتعليم فكرة الجامعة الخفية التي أصبحت تتحكم فيها تحالفات لوبيات دولية خارجية هي نتاج منطق تتجير المعرفة والتربح الخرافي غير الشرعي، ولوبيات داخلية محلية يتحالف فيها أيضاً أصحاب النفوذ وشبكة داخلية تمثل توليفة من الإداريين والأساتذة والباحثين والطلبة والمنظمات يكرسون سياسات الفساد لتصبح أمراً عادياً يفتخر به البعض ويتباهى في صورة مأساوية تنذر بنهايات كارثية.

نؤكد أن كلمة "اقرأ" ستبقى ماضياً وحاضراً ومستقبلاً طوق النجاة وبوابة استرجاع ميراث يحقق فعلاً الإنصاف والشمولية والتعزيز ليس في التعليم فحسب؛ بل وفي كل تصاريف الحياة.

4. المراجع:

- Julián, M., & Bonavia, T. (2022, 02 23). *Students' Perceptions of University Corruption in a Spanish Public University: A Path Analysis*. Récupéré sur <https://www.frontiersin.org/articles/10.3389/fpsyg.2022.842345/full>
- opensocietyfoundations. (s.d.). *The Corporate Corruption of Higher Education*. Récupéré sur <https://www.opensocietyfoundations.org/events/university-incorporate-corruption-higher-education>
- Osipian, A. L. (2007, 11 1). *Higher Education Corruption in the World Media: Prevalence, Patterns, and Forms*. Consulté le 10 22, 2022, sur Higher Education Corruption in the World Media: <https://files.eric.ed.gov/fulltext/ED499687.pdf>
- Rubin, M. (2017, 07 24). *How Corruption Cripples American Universities*,. Consulté le 10 23, 2022, sur commentary: <https://www.commentary.org/michael-rubin/corruption-cripples-us-universities/>
- Shore, C. (2022, 10 23). *Corrupt Are Universities? How Audit Culture, Fraud Prevention, and the Big Four Accountancy Firms*. Récupéré sur [journals.uchicago: https://www.journals.uchicago.edu/doi/full/10.1086/695833](https://www.journals.uchicago.edu/doi/full/10.1086/695833)

الجامعة الخفية: قراءة في مؤشرات الفساد العالمي للتعليم

transparency. (s.d.). *التعليم الملخص التنفيذي*. Récupéré sur منظمة الشفافية الدولية .:

<https://www.transparency.org/ar/publications/global-corruption-report-education>

worldbank. (s.d.). *worldbank*. Récupéré sur worldbank:

<http://www.worldbank.org/publicsector/anticorrupt/corruptn/cor02.htm#note1>.

المجلة المصرية (Éd.) 22/10/2022., ت. h). الاقتصاد الخفي مفهومه وأشكاله وآثاره الصفحة (2021). ب. و. الحربي
1-40, (2) 45 للدراسات التجارية

متاح على الرابط (ITCEQ) المعهد التونسي للقدرة التنافسية والدراسات الكمية, 2022, س. بوسيدة

تاريخ <http://www.itceq.tn/files/politiques-sociales/economie-non-observee-en-tunisie.pdf>

احتساب مساهمة الاقتصاد الخفي في (Éd.) 22/10/2022., م.-s.-n.-o.-e.-t. ((. الإطلاع

1, الاقتصاد الوطني التونسي